لانهم من قومنا بل أولئك البؤسى الذين ربطتابهم صلة اليوم العامه لانهم بشر مثلنا والانسان أخو الانسان . أجل . ان هـذه الحكاية المؤثرة هى التى تجعلنى اذ كر الساعة لذلك السائح الذى يسير على قارعة الطريق ، السائح الذى يجىء الينا مرة واحدة فقط فى العمر ويقرع على أبوابنا ويقف عندها ويحمل على كتفيه الامة البشرية كلها وفى يده العكاز الذى قد يكون لنا وساما لو فتحنا له ابوابنا ورحبنا به فى شخص عابرى السبل المساكين الذين يجيئون طالبين نفوسنا وعطفنا ورحمتنا بقدر ما نستطيع ؟

أوليفيا عويضه

****

لنبرأ من عاداتنا الرديئة

****

باب جديد للبحث فى العادات والاعتقادات الفاسدة التى تلوث سمعة المرأة المصرية وتلطخ حياتها بوصمات الجهل والتأخر وضعف الادراك ـ وتحط من قدرها فى العالم النسائى المتمدين

﴿ الافراح ﴾ (١)

الافراح كلمة أطلقت على غير معناها الحقيقى وخليق بنا أن نسميها أتراحا . هى أكبر معول لهدم البيوتات العريقة . ذات الجاه الرفيع . هذه العادة أكثر شيوعا فى مصر منها فى سائر بلدان العالم . تأصلت

(١) بقلم فردوس هانم توفيق

فينا منذ القدم . صار الفقير يحذو حذو الغنى فى المباهاة التى عادت عليه بأسوأ عاقبة وكانت سبباً فى سقوطه

كم من بيوت كانت بالامس عامرة . تحيط بها المهابة ويعلوها الجلال . أصبحت خاوية على عروشها تنعى من بناها !!

كم من ديار للموسرين . خربتها الافراح . وأصبح أهلوها فى أتراح . يعضون بنان الندم بنواجز الاسف . ولات ساعة مندم ...!!

كم من أطيان رهنت . وعقارات بيعت . وأمسى ذووها يقولون واويلتاه على ما فرط منا .!

كم من نفوس أذلها الفقر . بعد ان كانت تمرح فى بحبوحة الهناء . وترفرف عليها ملائكة السعادة بأجنحتها البيضاء ..!!

فياليت شعرى ماذا جنت الانسانية . فتتركها فى شقاء مقيم . وعذاب أليم

المرأة الجاهلة هى التى لها اليد الطولى . هى التى تمثل دوراً مهما فى هذه الرواية المحزنة . بل هى أصل كل بلية

اذا شرعت فى زواج أبنتها قبضت على المهر . ومدت يد التبديد . فى التبذير وقد أحاطت بها بطانة السوء أحاطة السوار بالمعصم . وهى الدلالات التى ترشدها الى ما يستنزف الاموال الطائلة من أنواع الملبوسات والمفروشات والحلى . طمعاً فيما يعود عليهن شخصياً من المنفعة المادية — وما برحت تسترسل فى غيها مندفعة فى تيار التقاليد القديمة طلباً فى المباهاة والظهور وحب الفخفخة كى تفوق على مثيلاتها فتضارع من هن أكثر منها مالا وأعز نفرا . فما أسرع مايفنى المهر . وهى غارقة فى لجة الغرور .

فتوعز الى بعلها بطارق باب جهنمي حتى اذا ولجته اندلع لهيب الاسراف يحرق رغد عيشهما . ويدهورهما فى هاوية سحيقة من الدين — ذلكم الخطر الداهم الذى يهدد حياتهما بعد أن كانا مطمئنين آمنين .

وناهيك بالديون اذا تراكمت . والاقساط اذا حلت فقل على الدنيا السلام .

* * *

يسوقه سوء الحظ الى المساومة فى رهن . أو بيع ممتلكاته ومقتنياته . تخلصاً من المطالبين الواقفين له بالمرصاد على باب داره . وقد أخذت تتناوبه الهواجس . وتتنازعه الوساوس . وينتابه اليأس والقنوط . ويستولى عليه النكد ويملكه الكمد . لانه شعر بسوء المصير . وقد دنا أجل راحته وهنائه

فاذا أزفت ليلة الزفاف . فرشت الدار بالابسطة والطنافس . وأوقدت الشموع . وأقبلت المدعوات أفواجاً — وما أكثرهن فى هذه الليلة — يتهادين عجباً . ويخطرن بالوشى طرباً يعشين الخيلاء . قدم فى الارض وأنف فى السماء . تختال فى حلل البهاء . وماهن الا أفاعى رقطاء . تحلين بثمين الجواهر والاحجار الجهنمية . وأمطرن على أنفسهن الروائح العطرية . فيظهرن كأنهن غيد حسان . وماهن الا قشرة من الالوان . ضربت على وجوههن نطاقاً فكانت سماء هاقا

وماتلك الثياب الفاخرة . والحلي النفيسة . الا عارية من صديقاتهن . أو قريباتهن . كأنهن أصبن بداء التظاهر بغير الحقائق كصاحبة الحفلة والطيور على أشكالها تقع

وإذا حان وقت الطعام . مدت الموائد العظام وبها أنواع المأكولات وأصناف الفطورات والحلويات . ما يعجز عن وصفها اللسان . ويكل عن حصرها البيان — فيملأن البطون حتى اذا أقبلت ساعة الرقاص . وقفن على الاقدام وثرن الذهب أو الفضة على الرؤوس فتسرع الراقصة أو المغنية فى جمع ما تدفعه المدعوات ويسمى (نقوط) — تبذير عجيب . وأسراف غريب . لو رآه الدكتور وارنوك (١) لبعث بربة الدار الى مستشفى المجاذيب

***

أما كان الاولى والاجدر بمثل هذه المرأة . . لو كان لها مثقال ذرة من الحكمة . واصالة الرأى أن تتخذ من هذه الاموال ذخراً لابنتها . يكون درعا لها تتقى به عوادى الزمان . وطوارىء الحدثان .

أليس من الصواب . وحسن التدبير . ان تكون الأم الرشيدة مشكاة تضيء أمام عينى ابنتها . لتريها الضلالة من الهدى . فتحوز لها الضروريات وتترك الكماليات التى لا تغنى فتيلا . وتؤدى الى الدمار . فتصون لابنتها ثروة تكون عكازا تتوكأ عليه فى المستقبل اذا داهمتها الليالي وسلاحاً ماضيا تحارب به جيوش الحاجة اذا أعوزتها الأيام

وتغنيها عن الالتجاء الى المحاكم الشرعية اذا استحكمت حلقات النزاع بينها وبين زوجها فهناك « تقاسى » من آلام « التأجيلات » ألوانا « وتعانى » من صنوف « التسويفات » أشكالا . مابين دفوع فرعية . وايقاف سير القضية . حتى يفصل فى الاشكال أو الاستئناف . أو ينقضى هذا الخلاف

(١) هو مدير مستشفى المجاذيب واختصاصى فى أمراض العقل

فترى كيف يراق دم العدل على هيكل المحسوبية والاغراض وتدفن الشريعة الغراء تحت أنقاض المحاباة والمجاملة

يا ضيعة الامل . ويا خيبة الرجاء فى قاض يتربع على دست القضاء . فيتخبط فى الاحكام خبط عشواء وهو عالم من علماء دين الاسلام . وأمام من أئمته الاعلام . أما جهلا منه أو انتقاما لما بينه وبين المحامي من الضغائن والاحقاد (شأن السفلة والاوغاد)

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وان رفعت الشكوى من هذه البلوى . ذهبت صيحة فى واد . أو نفخة فى رماد . وهكذا تضيع حقوق العباد . اللهم وفق من ونيتهم الاحكام بين الانام . طريق السداد . وسبل الرشاد

لست أدرى . ولا المنجم يدرى . ما خبأ القدر لهذه التعيسة فى عالم الغيب هل تروح وتغدو واقفة بين جدران المحاكم الشرعية ... أم يوحى الله أساتذتنا القضاة لسان الصدق . فينطقون بالحق .

ولو كان لها واحدا لاحتملته ولكنه هم وثان وثالث

واذا لا سمح الله وحكم لصالحها (بعد عمر طويل) وطرقت باب الادارة لتنفيذ الحكم « الشرعى » فتقابل وجوها عابسة ، عليها ظلمة من الكآبة ، فتهرول الى الرئيس وقد قد قلبه من صخر لتناوله الحكم فتنفجر منه براكين الغيظ ناظراً لها نظرة الازدراء ، كأنها عدو شتت جيوش افكاره المنظمة لمقاومة ما هو فيه من العسر

أجر قليل ، ومرتب ضئيل ، لا يكفى أجرة البيت ، ولا ثمن الماء والزيت

***

أمام هذا السكوت تظن ان الحكم الذى بيدها ، هو حكم عليها ، وعما قريب ستلقى فى غياهب السجون ، فتود أن تنزل عليها صاعقة من السماء ، أو يتسع أمامها الفضاء ، لتلوذ بالفرار ، وتولي الادبار

وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جارمه العذاب

تلقى الاحكام بين الاوراق المكدسة المهملة وتخرج تلك البائسة تجر ذيول الخيبة والفشل حتى يؤيدها الله بروح من عنده ويقيض لها وسيطا من ذوات الثروة وأصحاب اليد البيضاء يكون شفيعاً لها فى تنفيذ هذا الحكم « الشرعى »

أما رجال الادارة فى الارياف ، لا هم لهم سوى الطواف ، على بيوت العمد والاعيان ، لمعاقرة بنت الحان ، وتناول طعام الغذاء ، وربما وصلوا صباحهم بالمساء ، لازاجر يردعهم ، ولاذمة تزجرهم ، فيالسعادة المقرب اليهم ، المحبوب عندهم ، وياتعاسة من وقع فى ايديهم ، فيذوق مرارة غضبهم ، وبشره بالويل والثبور ، وعظائم الامور .

فلو أحسنت وزارة الداخلية صنعاً ، لزادت رواتب موظفيها فتكفيهم ذل التسول على العمد والاعيان ، ولاتترك حبلهم على غاربهم ، يتقاضون من الأتاوة اضعاف مرتباتهم ، فينقطع دابر الفساد ، ويضرب الامن اطنابه وتعيش البلاد فى راحة ، لا يكدر صفاءها قاطع طريق ، ولا سفاك دماء